وطنية البولونيات

تتعزى الوطنية عند الامم الصغيرة المستعبدة لغير سيفها المحكومة بقوانين غيرها الراضخة تحت اثقال الافتتاح والاستعمار . تتعزى بتمسك البعض بها وبانها لم تعدم انصاراً يحفظون لها ذكرًا ويناجونها سرًا وجهرًا . حتى اذا مكنتهم الاحوال يدافعون عنها ويشدون ازرها . فتأمل بالاستقلال يوماً ما ولو خيل ان استقلالها محال . ولولا هذا الامل لما استقلت امة بنفسها بعد ان حكمها الغير . بل لما سعت الى الاستقلال ولا خطوة

الوطنية روح الامة ولا حياة لهذه الابارواح . ولولاها لما تألفت الامم . لما استقلت ولا ارتقت . بها العزّ والمجد . بها القوة والفخر . وبدونها ذلّ ويأس . نعم هي من دواعي الفطرة غريزة في النفس وانما يوجد كثير من الناس لا يراعونها ولا يعتدون بها حتى ولا يذكرونها كانها ليست بشيء .

وهنا يظهر الفرق بين الامم . بين بعيدة النظر وقصيرته . بين المتبصرة بالعواقب والتلاهية عنها . بين المستعدة للاستقلال والتي لا تستحقه

الى الجانب الشمالي من تركيا في اوربا امةٌ تقاسمها الالمان والروس والنمساويون نجد السيف امة ترسف الآن بقيود الاحتلال الالماني والروسي والنمسوي . بعد ان كانت مستقلةً تؤلف دولة . وقد مرّ على استقلالها مئات من الاعوام وهي عائشة حرّة الى ان دبت فيها روح المفاسد المذلة . فارتكبت من الفظائع والاغلاط ما قادها الى التقسيم بين مخالب ثلاثة نسور عظام من اكبر دول الارض . فسقطت الى الحضيض بعد ان كانت في اوج المجد . ولم تجدها نفعًا كثرة ابنائها المتراوحين بين الاثني عشر والخمسة عشر مليونًا من النفوس حسب رواية الاروس او الثلاثين مليونًا حسب قول سيف الدين افندي

كاستوت مؤلف كتاب البولونيون والاسلام ولا اصلها الصقلبي ولا عاصمتها فرسوفيا ولا حصونها المنيعة وجيوشها الجرارة حتى ولا شرفاؤها المستبدون للعامة ولا عامتها الراضخون لاستبداد الشرفاء

فهذه الامة المنكودة الحظ مع كل ما توالى عليها من الضغط السياسي القاهر مع كل ما فعلته الامم المستبدة بها من التضييق عليها الى ان منعتها المانيا وروسيا من استعمال لغتها في المعاملات الرسمية ومن تعليمها في المدارس ومع تحفزها المتواصل للنهوض من كبوة الذل وكبح جماحها العاجل بالسجن والقتل او بالنفي والتشتيت . ومع تسكين ابواب النجاة في وجهها من جميع النواحي . مع كل ذلك ما يئست بعد من الاستقلال بل لا تزال تطمع به . ولها من عواطفها الوطنية باعث للأمل . وحسبها ان لنسائها يد طولى في الامر وعناية كبرى . حسبها منهن الاهتمام العظيم بتربية النسل على الوطنية وغرس اصولها فيه من صغره وتمكينها منه في الكبر حتى انهن يؤثرن تأثيراً وطنياً في ازواجهن من اي امة كانوا الامر الذي استدعى انتباه الدولتين المعظيمتين روسيا والمانيا الى مراقبة المرأة البولونية مراقبة دقيقة بحذر وامعان

وقد بلغ الحذر بالالمان الى ان سنوا قانوناً يمنع ضباطهم من الاقتران بالبولونيات لئلا يأول ذلك الى انحلال عرى الوطنية الالمانية في الاراضي البولونية اذ عرفوا مقدرتهن على التسلط عليهم وبثهن روح وطنيتهن في نفوسهم وغرس ابنائهم مما لا يناسب مصلحة الدولة المتسلطة . وكان العامل الاكبر على سن هذا القانون داهية المانيا وموسس امبراطوريتها البرنس بسمارك فانه لما رأى طلائع هذا الامر سارية خاف من عقباها فاستصدر قانون المنع ليحفظ مقام دولته في قسمها البولوني ويجهز على بقية امال البولونيين في الاستقلال

على ان المرأة البولونية بما فيها من شرف العواطف الوطنية اعظم من ان

تو خذ بتلك هذه العوامل باليأس . وهي التي كانت بالأمس يوم منع الروسيون في قومها من تعلم لغتهم القومية قبلاً لوطنيتهم تأخذ ابناءها الى الغابات والحقول تعلمهم لغة آبائهم وتدرسهم مفاخر اسلافهم ليظلوا بولونيين بمواطفهم وينجو من احابيل الروس المنصوبة لجعلهم روسيين ولو باقوة . ويوم لم تكن المدارس في بولونيا الروسية تجسر على تعليم لغة البلاد لابناء البلاد كانت المرأة البولونية تجرأ على ذلك رغم كل قانون . وكم هو مؤثر وجميل تفرق النساء في الاحراج وتفي خلالها لغرس بذور الوطنية في نفوس الصغار بتعليمهم اهتم الاصلية . واللغة دعامة الوطنية . كم هو عظيم الاتجاء الى البراري والتعرض لحرها وبردها مقاومة لاستبداد يقضي حق الضعيف للقوي . ولما منع الالمانيون لغة البولونيين من المعاملات الرسمية وحظروا عليهم تعلمها كانت النساء البولونيات في مقدمة الثائرين احتجاجاً على هذا الظلم ولم يكتفين بالجهاد بنفوسهن حتى استنصرن رأي العالم في العالم المتمدن ليساعدهن على التحرر من هذا الرق فكان من مناصرهم الفيلسوف تولستوي وكثير من اعاظم الانسانية

ومع كون المرأة البولونية تعتني باتقان لغتها كل الاعتناء وتحتفظ بوطنيتها كل الحفظ حتى ولو كانت خارج بلادها فانها لا تذخر وسعاً في تعلم اللغات الاجنبية وتقانها جيداً كابنائها تماماً والفتيات البولونيات اللواتي تعلمن في فرنسا هن اكثر الفتيات الاجنبيات فيها واتقانهن للغة الفرنسيس يضرب به المثل

وهن حينما حللن يحافظن على عاداتهن واخلاقهن محافظة جميلة حتى في اميركا فانهن لم يتأثرن كثيرهن من المهاجرات الاوروبيات

فاذا سعى البولونيون للاستقلال يوماً ما وعملوا على خلع نير الروس والالمان والنمسويين ومكنتهم من ذلك الاحوال فانهم يجدون من نسائهم مساعدات لهم يوطدن دعائم الوطنية ويعززن المحاسن الانسانية . وما على المرأة امر عسير